الصدر الأعظم محمَّد كوبرولو باشا وسياسة استرداد القوة في الدولة العثمانيَّة (١٦٥٦-١٦٦١)

أ.م.د. أنيس عبد الخالق محمود(*)
م.م. آيات جميل مهاوي(*)

مقدمة

يركِّز هذا البحث على دور القوَّة والقسوة في تحديد مسار الدولة العثمانيَّة منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر بتبوء محمَّد كوپرولو باشا منصب الصدارة العظمى (١٦٥٦-١٦٦١)، في وقتٍ بات واضحًا فيه أنَّها كانت ماضيةً في طريق التفكك والضعف لأسبابٍ متعددة. وعلى الرغم من أنَّ المدة التي تولَّى فيها ذلك المنصب كانت قصيرةً نسبيًّا قياسًا بالنتائج التي حقَّقها للدولة داخليًّا وخارجيًّا، إلَّا أنَّه استطاع أن يُعيدها إلى عهد قوتها في زمن السلطانين سليمان القانوني (١٥٦٦)، ومن بعدهِ مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠). والبحث بمُجملهِ يُسلِّط الضوء على دور القوة والحكمة والشدة أحيانًا، في صنع التاريخ. وكانت الدولة العثمانيَّة حينذاك، أي حينما تولَّى المنصب، في أمسِّ الحاجة إلى رجل قوي حكيم يأخذ بزمامها وله رؤيةٌ واضحةٌ في الأحداث التي صار محورها، حتَّى طغت شخصيَّته على شخصيَّة السلطان الحاكم محمَّد الرابع (١٦٤٨-١٦٨٧)، وإن كان يوصف بـ"آخر الفاتحين". وكان استخدام تعبير "استرداد القوة" ضمن عنوان البحث مقصودًا وذا مغزىً للإشارة إلى سلفهِ فيها مراد الرابع الذي كان السلطان القوي الوحيد خلال القرن السابع عشر، إذ سار على نهجهِ وأثبت بالفعل أنَّ الحال الذي وصلت إليه الدولة حينذاك ما كان بالإمكان أن يستقيم لولا سياسة حازمة قوية تجتمع فيها السلطة بيدٍ واحدة، وهو شرطه الوحيد للموافقة على قبول المنصب. فإلى أيِّ مدى نجح محمَّد كوپرولو باشا في مهمته؟ وهل أصبح وضع الدولة بعد توليه منصب الصدارة العظمى أفضل ممَّا كان عليه الحال قبل ذلك؟

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على مبحثين، تناول الأوَّل أحوال الدولة العثمانيَّة في النصف الأوَّل من القرن السابع عشر، وفيه صورةٌ سريعةٌ ومركَّزةٌ للظروف التي أدَّت إلى ظهور بوادر الضعف فيها، ابتداءً من ضعف

(*) الجامعة المستنصرية / كلية الآداب.
dr.anisalkaysi@yahoo.com
ff2.rcc793@gmail.com

شـخصيَّات السلاطين (باستثناء السلطان مراد الرابـع)، مـرورًا بتسـلُّط الانكشـاريَّة، وتحكُّم الحريـم (كوسـم مـاهبيكر ١٥٩٠-١٦٥١، ومـن بعدها خديجة طُرخـان ١٦٢٧-١٦٨٣) بالبـلاد، وانتهاءً بسـوء الأوضـاع الاقتصادية، وتعاظـم التحديـات الخارجيَّة. أمَّـا الثاني فهو موضوع البحث الصدر الأعظم محمَّد كوپرولو باشـا، ودُرس في ثلاثـة محاور تناولت سياسـته في العاصمـة إسـتانبول، وفي الإيـالات، ومـن ثمَّ دوره في رسـم السياسـة الخارجيَّـة العثمانيَّة والحمـلات التي قادهـا ضدَّ القـوى الإقليمية والدولية.

اعتمـد البحـث على مجموعـةٍ مـن المراجع الأساسـيَّة، منهـا مـا هـو بالتركيَّـة القديمـة (العثمانيَّـة)، مثـل كتـاب تاريـخ دولـت عليَّـة عثمانيَّـة لخـير الله أفنـدي، وتاريـخ راشـد أفنـدي لمحمَّد راشـد، ومقـالات متعـددة من دائـرة المعـارف الإسـلاميَّة التركيَّـة (İslâm Ansiklopedisi)، وبعـض الدراسـات المتخصِّصـة، تـأتي في مقدمتها دراسـتا الباحث التركي جمهـور بيكـار (Cumhur Bekar) الرائدتان: "الثورة العثمانية لعام ١٦٦١: إعادة تشـكيل السلطة السياسـية في عهد محمد الرابع وصدور كوپرولو العِظام (٢٠٢٢)،

(The Ottoman Revolution of 1661: The Reconfiguration of Political Power under Mehmed IV and Köprülü Grand Viziers)

وأطروحتـه المعنونة: صعـود آل كوپرولو: إعادة تشكيل السلطة الوزارية في القرن السابع عشر (٢٠١٩)،

(The Rise of the Köprülü Family: The Reconfiguration of Vizierial Power in the Seventeenth Century)

وعـدد من المراجع المهمَّـة الأخرى في نهاية البحث.

الكلمات المفتاحيَّـة: الدولة العثمانيَّة، القرن السـابع عشر، محمَّد كوپرولو باشـا، السـلطان محمَّد الرابع، آل كوپرولو.

أوَّلاً: أحوال الدولة العثمانيَّة في النصف الأوَّل من القرن السابع عشر

مثَّلـت المـدة التـي أعقبت حكم السـلطان سـليمان القانـوني (١٥٢٠-١٥٦٦) بدايـة ضعـف الدولـة العثمانيَّـة التـي عصفـت بهـا حينـذاك فـوضى واضطرابـاتٌ شـديدةٌ نتيجة تولِّي سـلاطين ضِعاف مقاليـد الحكم، لا خبرةَ كافيةَ لهم في إدارتها أو حتَّى إدارة إيالة، وتدخُّل الحريم في شـؤون الحكم، وتـدنِّي قيمة العُملة، وتفـشي الرشـوة، وإسـناد المناصـب مقابـل المـال. وأُضيفت تلـك العوامـل إلى التحديَّات الخارجيَّـة؛ إذ واجهت الدولة خصومًا أشـدَّاء في البـرِّ والبحـر؛ فـآل هابسـبورغ في الغـرب، والصفويون في الشرق، والجلاليون في الداخل، فسـيطروا على معظم أراضي الأناضول والروم إيلي؛ فاغتنم الشـاه عبَّـاس الصفوي (١٥٨٨-١٦٢٩) الفرصـة واسـتولى عـلى بغـداد في عام ١٦٢٢[1]. في المقابل، كانت دول أوروبا تشهد تحـوُّلات متسـارعةً، إذ تحـوَّل اقتصادهـا مـن

زراعي إلى صناعي، وحلَّت الأسلحة الناريَّة محلَّ اليدويَّة لتتفوَّق على الأسلحة العثمانيَّة ـ التي ظلَّت تحتفظ بنظمها القديمة وتنظر لكل جديد بعين الريبة ـ بمراحل[٢].

دفعت تلك الأوضاع السلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠) إلى التفكير بأسباب تخلُّف الدولة وتراجعها؛ فحاول مواجهتها ومعالجة التحديات التي تواجهها وإعادة هيبتها والقضاء على الفوضى التي تعصف بها خلال السنوات التسع الأخيرة من حكمهِ (١٦٣٢-١٦٣٨)، إذ كان قبلها تحت سيطرة رجال البلاط والسلطانة الوالدة كوسم ماهبيكر (١٥٩٠-١٦٥١). وكانت أولى أعماله في هذا المجال قمع تمرُّد والي أرضروم أباظة محمَّد باشا (١٥٧٦-١٦٣٤) انتقامًا لمقتل شقيقه السلطان عثمان الثاني (١٦١٨-١٦٢٢)، لكنَّه سرعان ما عفا عنه وعن رجاله في الثاني والعشرين من أيلول ١٦٢٨، لكونه قائدًا عسكريًّا محنَّكًا[٣]. وفي عام ١٦٣٣ أنهى فتنة الأمير فخر الدين المعني الثاني (١٥٧٢-١٦٣٥) الذي فرض سيطرته على حوران وعجلون في إيالة الشام، مهدِّدًا ولاة دمشق، ومؤسِّسًا إدارةً مستقلَّةً في جبل لبنان[٤]. وإلى جانب هذا وذلك، تمكَّن من إعادة سلطة الدولة وهيبتها عن طريق إنعاش مؤسَّساتها القديمة، وقمع المتمرِّدين والعُصاة واللصوص، وإعادة تنظيم التيارات، وإعدام آلاف الخارجين عن القانون، ومنع التدخين وتناول القهوة، وإغلاق المقاهي[٥]، وإنعاش اقتصاد الدولة بتفعيل المؤسَّسات الحِرفيَّة التي فقدت أهميتها نتيجة غزو السلع الأوروبيَّة الأسواق المحليَّة، والقيام بجولات تفتيش مفاجئة في العاصمة لمراقبة الأسعار، والأمر بمعاقبة المخالفين عند رصد أيِّ مخالفة في محلِّها[٦].

وفي سبيل تشديد قبضته على مفاصل الدولة، كان يأمر بإعدام كلِّ مَن يتورط بالتآمر على سلامتها، مثلما حدث مع قاضي إزنيق الذي أمر بإعدامهِ دون استجواب، ومن بعده شيخ الإسلام حسين أفندي أخي زاده (١٦٣٢-١٦٣٤) الذي توسَّط له (أي لشيخ الإسلام) لدى السلطانة كوسم ماهبيكر، ليكون بذلك أوَّل شيخ إسلام عثماني يُعدم[٧].

وضمن هذا الإطار لم يتهاون السلطان حيال الاستهانة بكبار الدولة ورموزها، كما حدث مع الشاعر نفعي عمر بك (١٥٧٢-١٦٣٥) الذي أُعدم في السابع والعشرين من كانون الثاني ١٦٣٥. وكذلك قتله شقيقَيْه الشهزاده بايزيد (١٦١٢-١٦٣٥) والشهزاده قاسم (١٦١٤-١٦٣٨)، ثمَّ ابنه الشهزاده سليمان (١٦١٥-١٦٣٥) في الثامن من أيار ١٦٣٨، عند وصول أخبار السيطرة على أريڤان (عاصمة أرمينيا الحاليَّة)، لاعتقاده أنَّهم سيشكِّلون خطرًا عليه في حملته المزمعة على بغداد لاستعادتها من الصفويين[٨].

وبعد السيطرة على بغداد في الخامس والعشرين من كانون الأوَّل ١٦٣٨ عاد إلى إستانبول، تاركًا الصدر الأعظم كمنكاش قره مصطفى باشا (١٦٣٨-١٦٤٤) لإدارتها؛ فعمل هذا على إعادة بناء أسوارها في غضون شهرين، وزوَّدها بقوة عسكريَّة للدفاع عنها وحمايتها من الهجمات الصفويَّة. وبعد أن

استتبت لـه الأمـور فيهـا، عـاد إلى الصفويين لإنهـاء خلافـه معهـم، فعقـد معاهـدة قـصر شـيرين في السـابع عشر مـن أيـار ١٦٣٩ التي أنهت الحرب بين البلدين وحلَّت جميع القضايا الحدوديَّة بينهما[٩].

بعدهـا، قـرَّر الاسـتعداد لشـنِّ حملـة عـلى البندقيَّـة، وبـدأ بتجهيـز الأسـطول لذلـك. غـير أنَّـه لم ينفِّـذ الحملـة نتيجة اشـتداد المرض عليـه وتدهـور حالتـه الصحيَّـة. وقبـل وفاتـه في الخامـس عـشر مـن شـباط ١٦٤٠، كان قد أمـر بقتـل شـقيقه الآخـر، الشـهزاده إبراهيـم (١٦١٥-١٦٤٨)، لكـنَّ السـلطانة كوسـم مـاهبيكر اسـتطاعت إنقـاذه[١٠]، فتـولَّى الحكم بعده (١٦٤٠-١٦٤٨).

كـان السـلطان إبراهيـم يعـاني اضطرابات نفسـيَّةً نتيجـة حبسـه في القصر؛ فكـان في قلق مسـتمرٍّ خشـية القتل. فضـلاً عن أنَّـه كان غير متعلِّـم وعديـم الخـبرة بحيـث لم يصـدِّق خبر وفاة شـقيقه ليحلَّ محلَّه، حتَّى أمرت السـلطانة كوسم ماهبيكر بنقل جثمانه على مرأى ومسمع منه[١١].

اتَّسـمت السـنوات الأولى مـن حكـم إبراهيـم بالاسـتقرار والهـدوء بفضـل الصدر الأعظـم كمنكـاش قـره مصطفـى باشـا الذي حافـظ على اسـتقرار الوضـع كما كـان في عهد السلطان السابق، ونفَّذ عددًا من الإصلاحات العسـكريَّة والماليَّة والإداريَّة، وخفَّض الإنفاق الحكومي، وقلَّص عدد الانكشـاريَّة والسباهيَّة (الفرسان)، وشدَّد على تجنُّب التبذير والنفقات غـير الضروريَّـة. غـير أنَّ الأمر لم يـدم طويلاً، إذ ظهـر له منافسـان، هما معلِّماه يوسـف باشـا (سـاعده الأيمـن)، وجنجـي حسـين خوجـة أفنـدي، اللذان تحالفـا ودبَّرا مكيـدةً للتخلُّص منـه، وتمكَّنـا مـن اسـتخدام نفوذهمـا ضـدَّه. وعندمـا علم بذلك قـرَّر تحريض الانكشـاريَّة عـلى التمرُّد إمـام بوابات القـصر. إلَّا أنَّ الأمر انقلب ضـدَّه، فأُعدم في الحـادي والثلاثين من كانون الثاني ١٦٤٤[١٢].

إزاء ذلـك، أخـذت أحـوال الدولـة تزداد تدهورًا، وزاد تدخُّل الحريم في جميع مفاصلها، ومنـح السـلطان المفضَّـلات منهـنَّ معاشـات تقاعديَّـةً، وكـان لبعضهـنَّ تأثيرٌ ملحـوظٌ فيه. ولم يكتـفِ بذلـك، بـل وهب الجـواري موارد إيـالات وسـناجق، وأصبـح وارد بعضهـنَّ أكثـر مـن مئـة ألف قـرش سـنويًّا، مـا أدَّى إلى عجـز خزينة الدولة التي لم تعـد قادرةً على دفع رواتـب الجيش. وكان للجـواري تأثيرٌ كبيرٌ في تعيين الأشـخاص في المناصب، فلم تعد الخبرة والكفـاءة هي المعيـار للتوظيـف، بل الحصول عـلى موافقتهـنَّ. وأدَّى الإسراف والتبذيـر إلى خراب الخزينة وإفلاسـها. ولم يكتفِ السلطان بذلـك، بـل منـح خزينـة مـصر مهـرًا لإحدى الجواري عندمـا تزوجها، وفـرش بيتها بالفرو وجلد السـمُّور لولعهِ بهِ، حتَّى أطلق على عهدهِ اسم "عهد السمُّور"[١٣].

وقُبيل نهاية عهده (أيلول ١٦٤٤) اندلعت الحـرب بـين البندقيَّـة والعثمانيـين عـلى جزيرة كريـت (كانديـا العثمانيَّـة)، وبسـببها بـدأت إسـتانبول تُعاني من مأزق حقيقي؛ لأنَّ البنادقة حـاصروا الدردنيـل، مـا أدَّى إلى اضطرابـات انتهت بتمرُّد الانكشـاريَّة في عام ١٦٤٨ وعزل

الصدر الأعظم هزار پاره أحمد باشا (١٦٤٧-١٦٤٨) وقتله وتنصيب محمَّد باشا الصوفي (١٦٤٨-١٦٤٩) عوضًا عنه.

وكانت وراء هذا التمرُّد السلطانة كوسم ماهبيگر التي اتَّفقت مع الصدر الأعظم وشيخ الإسلام عبد الرحمن أفندي (١٦٤٧-١٦٤٩) على خلعهِ وتنصيب ابنه محمَّد الرابع (١٦٤٨-١٦٨٧)[١٤]، الذي تولَّى الحكم ولم يكن عمره يتجاوز سبع سنوات. وكانت السنوات الثمان الأولى من حكمه من أشد فترات التاريخ العثماني اضطرابًا؛ إذ كانت الدولة خلالها تعاني من اضطرابات داخليَّة وتحديات خارجيَّة. ففي الميدان الداخلي ساد الصراع بين السلطانة الجدَّة كوسم ماهبيگر والسلطانة الوالدة خديجة طُرخان (١٦٢٧-١٦٨٣)، وكان لكلٍّ منهما فصيلها الخاص المدعوم من شرائح مختلفة في المؤسَّسة العسكريَّة. وفي أثناء تمرُّد الانكشاريَّة لعام ١٦٥١ حاولت الأولى تنظيم انقلاب ضدَّ السلطان بتسميمه والتخلص منه وتتويج شقيقه سليمان (الذي حكم باسم السلطان سليمان الثاني ١٦٤٢-١٦٩١). ولدى علم الثانية بذلك، أمرت باغتيالها، فتمَّ ذلك في الثاني من أيلول ١٦٥١. وبعد قتلها حُلَّ فصيل البلاط الخاص بها، فسيطرت خديجة طُرخان على سياسة البلاط وبدأت بإدارة شؤون الدولة بنفسها[١٥].

ولتعزيز قبضتها، استدعت أحمد باشا الطرخونجي ليكون صدرًا أعظم، فتولاَّه خلال (٢٠ حزيران ١٦٥٢-٢١ آذار ١٦٥٣)، وأنقذ الدولة من التفكُّك، وأعاد تنظيم الخزينة، وحارب مظاهر الفساد الإداري والمالي كالرَّشوة والمحسوبيَّة، وصادر العديد من تيمارات كبار المسؤولين وعقاراتهم، وفرض عليهم ضرائب جديدةً؛ وهي إجراءاتٌ أدَّت إلى تعظيم الواردات من جهة، وظهور المعارضين له ممَّن كانوا يخشون ضياع هيبتهم ونفوذهم وسلطتهم من جهةٍ أخرى؛ فنشروا إشاعات مفادها أنَّه قرَّر إطاحة السلطان، فعُزل ثمَّ قُتل[١٦].

وخلال السنوات التالية (١٦٥٣-١٦٥٦) تدهور الوضع السياسي في الدولة وتعرَّض أسطولها للهزيمة في جزيرة كريت، وسيطر البنادقة على الدردنيل مرَّةً أخرى، وتمرَّد الجلاليون، وتراجع الإنتاج الزِّراعي، وتأخَّر دفع الرواتب، وانخفضت نسبة الذهب في العملات المعدنيَّة، ورفض أصحاب الدكاكين في إستانبول قبول العملة الجديدة والتعامل بها؛ فتوجَّه بعض الجنود العائدين من حرب كَريت إلى القصر مطالبين برواتبهم، فطردهم رئيس حرَّاس القصر عثمان آغا؛ فتوجهوا إلى ثكنات الانكشاريَّة الذين تعاونوا معهم وانضمَّوا إليهم. وفي الرابع من آذار ١٦٥٦ توجَّه الجميع إلى القصر وقدَّموا قائمةً بأسماء ثلاثين آغا للسلطان لقطع رؤوسهم، لاعتقادهم أنَّهم مسؤولون عن الأزمة الاقتصاديَّة التي تعصف بالبلاد، فحاول تهدئتهم ووعدهم بمصادرة أموال الآغوات ونفيهم، لكنَّهم رفضوا وأصرُّوا على قطع رؤوسهم. فما كان أمامه إلَّا أن أمر بقتل الآغوات وتعليق رؤوسهم على الأشجار في ميدان السلطان أحمد في حادثة أُطلق عليها في التاريخ العثماني تسمية "جنار ده أغالر" (حادثة جنار)[١٧].

إزاء تلك التطورات رأت السلطانة خديجة طُرخان أنَّ الأوان قد حان لاختيار صدر أعظم يليق بالمهمَّة ويتحمَّل أعباء المسؤوليَّة ويقود الدولة إلى برِّ الأمان، فوقع الاختيار على محمَّد كوپرولو باشا.

ثانيًا: بروز محمَّد كوپرولو باشا وتولِّيه منصب الصدارة العظمى في عام ١٦٥٦

بعد الأحداث أعلاه، وقع اختيار السلطانة خديجة طُرخان على محمَّد كوپرولو باشا ليكون صدرًا أعظم، فتولَّى المنصب خلال المدَّة (١٦٥٦-١٦٦١) مزوَّدًا بصلاحياتٍ مطلقة كما اشترط مقابل تولِّيه المنصب.

محمَّد كوپرولو باشا: سيرته الأولى وخلفياته الأُسرية والاجتماعية

ولد محمَّد كوپرولو في عام ١٥٨٣ في قرية بيرات في سنجق رودنيك (أو روژنيك)، وهو من أصولٍ ألبانيَّة، وانتقل إلى بلدة كوپرو في أماسية وتزوج من عائشة ابنة يوسف آغا. وكان قد تولَّى عددًا من المناصب قبل أن يصبح صدرًا أعظم، مثل "خازندار" خلال ولاية الصدر الأعظم خسرو باشا (١٦٢٨-١٦٣٢)، ووالي أماسية في عام ١٦٣٨[١٨]، وشارك في حملة السلطان مراد الرابع على بغداد عام ١٦٣٨[١٩]، وكان رئيس شرطة السوق في إستانبول، والمشرف على الترسانة العامرة (دار صناعة السفن العثمانيَّة)، ورئيس فيلق السباهيَّة، ورئيس سلاح المدرَّعات، ثمَّ أصبح رئيسًا للديوان الهمايوني خلال ولاية الصدر الأعظم كمنكاش قره مصطفى باشا، ووالي طرابزون في عهد الصدر الأعظم سلطان زاده محمَّد باشا (١٦٤٤-١٦٤٥)[٢٠]. وفي عام ١٦٤٧ توجَّه لمقاتلة والي سيواس علي باشا الوروار (١٦٤٧-١٦٤٨) الذي أعلن عصيانه مستغلاً حالة الضعف والارتباك في الدولة، واشتبك الطرفان بالقرب من توقاد، وانتهى الأمر بهزيمة محمَّد كوپرولو باشا ووقوعهِ أسيرًا، وكاد أن يُقتل لولا تدخَّل أبشير مصطفى الذي قاد حملةً ضدَّه وقبض عليه وأنقذ الأسرى، ومن بينهم محمَّد كوپرولو باشا[٢١]. وفي عام ١٦٥٥ أصبح واليًا على طرابلس الشام؛ ثمَّ وزيرًا في الديوان الهمايوني، ولكنَّ الصدر الأعظم محمَّد باشا بوينويرالو (٢٦ نيسان ١٦٥٦-١٥ أيلول ١٦٥٦) أعفاه من ذلك المنصب[٢٢].

أُتيحت لمحمَّد كوپرولو باشا الفرصة لتولِّي منصب الصدارة عندما رُقِّي زميله قاسم آغا (المقرَّب من كمنكاش قره مصطفى باشا) في تشرين الأول ١٦٥١ وكيلاً للسلطانة الوالدة خديجة[٢٣]. وكان هذا مستاءً من وضع الدولة، فقرَّر ترشيح أشخاص أكْفاء ومقتدرين للمنصب لإنقاذها، وكثيرًا ما كان ينصح السلطانة بالاعتماد عليه في محادثاته معها، موضحًا لها أنَّه الشَّخص الملائم لذلك المنصب. وعندما علم الصدر الأعظم بوينويرالو محمَّد باشا بنيَّة عزله وتعيين محمَّد كوپرولو باشا، قرَّر التخلَّص منه باغتيالهِ. وعندما علم قاسم آغا وأصدقاؤه بذلك، دبَّروا خطَّةً لإنقاذه والتخلُّص من بوينويرالو، وذلك بتعيين سياووش مصطفى باشا المقرَّب

لـه واليًـا عـلى دمشـق في السـادس مـن أيلول ١٦٥٦، وطلبوا من والي دمشق خاصكي محمَّد باشا (١٦٥٢-١٦٥٦) الحضور إلى إستانبول. وتوقَّـع بوينويرالـو أن تنتهـي هـذهِ التطورات بتنصيب خاصكي باشـا وإبعاد محمَّد كوپرولو باشـا. ولكـنَّ الأمـور انتهـت بتعيـين الأخـير صدرًا أعظم[٢٤].

كـان محمَّد كوپرولو باشـا مدركًا اسـتحالة إنقاذ الدولة ودرء الأخطار عنها دون أن يكون صاحب اليد المُطلقة فيها، لذا فرض شروطًا في مقابل قبولهِ المنصب[٢٥]؛ منها: موافقة السلطان عـلى جميع قراراتـه دون نقاش، وعـدم الضَّغط عليـه مـن أيِّ جهـة، وتوظيـف المسـتحقِّين، ورفض انتقاد قراراته وسياسـته، وعدم السماح للـوزراء ورجال الدولة السـابقين بالتدخل في شـؤون الدولة وسياسته. وكانت هذهِ هي المرَّة الأوَّلى التي يفرض فيها صدرٌ أعظم شروطًا في مقابل تولِّي المنصب. وبعد أن وافقت السلطانة خديجـة طُرخان على شروطهِ، تـولَّى المنصب في الرابـع عشر مـن أيلـول ١٦٥٦[٢٦]. ويبدو أنَّ السـبب الـذي دعاه إلى فرض شروطـه إنَّه كان عـلى درايةٍ كافيـة بتأثير القصر في إدارة شـؤون الدولـة، فـأراد حمايـة نفسـه وتعزيـز سـلطته ليتمكَّن من اتِّخاذ الإجـراءات والقرارات كافَّة من دون معارضة أحد.

يرى المؤرِّخ النمساوي جوزيف ڤون هامر (١٧٧٤-١٨٥٨) أنَّ محمَّـد كوپرولـو باشـا لم يكـن مؤهَّلاً للمنصـب لأنَّه أُمـيٌّ، وأنَّ الدولة كانـت بحاجـة لرجـل متعلِّم شـجاع لإنقاذها من الفتن الداخليَّة والتحديـات الحدوديَّة[٢٧]. ولكـن ثبـت أنَّ هـذا الـرأي غـير دقيـق؛ لأنَّ الصـدر الأعظـم ـ رغـم أُميَّتـه ـ عُـرف بذكائهِ ونشـاطهِ وقسـوته أيضًـا؛ إذ كانت لديـه قائمةٌ بأسـماء المرشَّـحين للإعدام لقناعتـهِ أنَّ الشرط الأوَّل للنجاح يكمن في الاستيلاء على السلطة السياسـيَّة وحكـم البـلاد بقبضـةٍ حديديَّة[٢٨]. وعلى الرغم من أنَّ هذهِ السياسة ليست ناجحة دائـمًا إلَّا في تصفيـة الخصـوم، إلَّا أنهـا عـززت قبضته على السلطة وأرعبت خصومه.

إجراءاته في تشديد قبضته على العاصمة

كانـت أولى أعمال محمَّد كوپرولو باشـا بعد تولِّيـه المنصـب نـشره عيونًـا في جميـع إيـالات الدولـة، ونفـي بعـض المشـايخ والدراويـش المتعصبين مـن العاصمة، والبطـش بمعارضيه بقسـوةٍ بالغة، حتَّـى قيل إنَّ عـدد ضحاياه بلغ نحو ٣٦ ألف شـخص[٢٩]، وهو رقمٌ مهولٌ لا يمكن تصديقه بسهولة (وإن لم يكن مستبعدًا)، ويمكن تفسيره بأنَّه كان جزءًا من سياسة الدولة في إثارة الرعب في نفوس خصومها في الداخل والخارج، أو جـزءًا من دعايـة أولئك الخصوم لتشـويه سُـمعتها وتأجيج الأوضـاع الداخليَّة ضدَّهـا، ولاسـيَّما أن كانـت بيد رجـل قوي له أعداءٌ كُثُر. وبناءً على طلب من السلطانة خديجة طُرخـان ـ ربَّما لاختبار ولائه ـ أمر بإعدام ناظر الماليَّة السابق المتَّهم بالفساد[٣٠]. وشَمِلت قائمة المعدومين قائد حامية جزيرة تينيدوس (بوزجه آدا العثمانيَّة، شـمال شرق بحر إيجة) أباظة أحمد باشـا الذي أُعدم في الحـادي عشر تشرين الثاني ١٦٥٦ لتسـليمه الجزيرة للبنادقة. ثمَّ قام بطرد عدد من المنافسـين لـه، أبرزهم منافسـه ضابط

حماية القصر خليل آغا، ما يدلُّ على مدى دعم السلطان والسلطانة الوالدة لإجراءاتهِ[٣١].

وبعد هزيمة البندقيَّة في الدردنيل في الثالث عشر من تموز ١٦٥٦ عُيِّن سيدي أحمد باشا، المعروف بشجاعتهِ وثباته، واليًا للبوسنة، وكانت له علاقاتٌ وثيقةٌ مع معظم رجال القصر الناقمين على قوَّة محمَّد كوپرولو باشا؛ فأرادوا القضاء عليه. وعندما عَلِم هذا بذلك، عزله ونقله إلى حدود تلك الإيالة في كانون الأول ١٦٥٦[٣٢]، وإنْ لم يمنع هذا التمرُّدَ الذي حدث في الرابع من كانون الثاني ١٦٥٧ في إستانبول الذي وُجوه بقوَّة بدعمٍ من السلطان والانكشاريَّة، فأدرك المتمرِّدون عجزهم عن تحقيق أي نجاح وبدأوا بالفرار واحدًا تلو الآخر، لكنَّ محمَّد كوپرولو باشا كان مصممًا على التخلُّص منهم. وبعد يومين عقد اجتماعًا تقرَّر فيه التخلص منهم، فأُعدموا[٣٣].

وفي الرابع والعشرين من آذار ١٦٥٧ أمر بإعدام بطريرك القسطنطينيَّة بارثينيوس الثالث (Parthenius II)، (١٦٥٦-١٦٥٧) لتحريضه حكَّام ولاشيا ومولدافيا (الإفلاق والبُغدان العثمانيَّة ـ رومانيا الحاليَّة) ضدَّ الدولة[٣٤]، وذلك بعد استحصال فتوى من شيخ الإسلام بالي زاده مصطفى أفندي (١٦٥٦-١٦٥٧، ت: ١٦٦٢)[٣٥]. وهكذا تمكَّن من قمع حركات التمرُّد في العاصمة، ونفَّذ عددًا من عمليَّات التطهير القاسية التي وصفها المؤرِّخ الهولندي ميرلاين أولنون بأنَّها: "كانت محدودةً ولكنَّها ناجحة، إذ كانت تهدف بالمقام الأوَّل إلى الحفاظ على سلامة الدولة"[٣٦]، وأسفرت عن إعادة بوادر هيبة الدولة وعظمتها بعد مدة طويلة من الضعف والانحلال والعجز المالي[٣٧].

وعن هذهِ النقطة، المتعلِّقة بإجراءاته الماليَّة، فقد اتخذ إجراءاتٍ عدَّة، منها خفض الإنفاق الحكومي المفرط، ووضْعُ حدٍّ لإسراف الحريم، والطلب من الأغنياء إقراض الدولة، وخفض راتب شيخ الإسلام خواجة زاده مسعود أفندي (٦ آذار – ١٧ تموز ١٦٥٦) الذي اعترض بشدَّة أدَّت إلى إعدامهِ، وقطْع رواتب كلِّ مَن يتقاضى راتبين، وتحويل عدد من الأملاك إلى تيمارات وتوزيعها وتخصيص مواردها لخزينة الدولة، وأمْر أصحاب التيمارات والزعامات بتجديد تراخيصهم، ودفْع الضرائب بانتظام[٣٨].

وفي عهدهِ أُعيد بناء الأسطول العثماني، غير أنَّ حريقًا التهمه نتيجة إهمال خزن البارود، فأُعيد بناؤه مرَّةً أخرى[٣٩]. وكان يُشرف على المعارك بنفسهِ، فيكافئ الشجعان ويُعاقب المتخاذلين ويعدم الفارِّين من أرض المعركة[٤٠].

تشديد مركزيَّة الدولة في الإيالات العثمانيَّة

من أبرز إجراءات محمَّد كوپرولو باشا تشديد مركزيَّة الدولة على إيالاتها وقضائه على حركات التمرُّد فيها، وأشهرها تمرُّد الجلاليَّة بقيادة والي حلب أباظة حسن باشا (١٦٥٧-

١٦٥٩)[٤١] ورفضه الالتحاق بالحملة المتوجَّهة ضدَّ أمير ترانسلفانيا (أردل العثمانيَّة) واستنجاده بالولاة خوفًا من الإعدام؛ إذ انضمَّ إليه كلٌّ من والي دمشق طيَّار زاده أحمد باشا (كانون الأوَّل ١٦٥٦- كانون الثاني ١٦٥٧)، ووالي كوتاهية[٤٢] مع ٣٠ ألف رجل من قونية وعدد من الانكشاريَّة الذين هربوا من قسوتهِ وأعلنوا استمرار عصيانهم حتَّى تنحيته وإعدامه، علمًا أنَّ السلطان لم يرغمهم على الانضمام للحملة، بل اكتفى بإرسالهم إلى بغداد وحراسة الحدود من الصفويين[٤٣]. وبعد أن رفض السلطان مطالبهم، أعلن أباظة استقلاله قائلاً: "من الآن فصاعدًا، سنكون عدوًّا عنيدًا مثل شاه إيران... وستكون الروم إيلي لك والأناضول لنا"، ما أدَّى إلى إصدار فتوى من شيخ الإسلام بالي زاده مصطفى أفندي (١٦٥٧-١٦٥٩) نصَّت على "إنَّ مَن جعلوا جيوش الإسلام تترك قتالها مع الكفار هم أسوأ من الكفار". وأُرسلت تلك الفتوى إلى جميع مدن الأناضول، وكان لها أثرٌ قويٌّ في إضعاف نفوس المتمرِّدين[٤٤].

اتَّخذ أباظة حسن باشا من بورصة مقرًّا له في عام ١٦٥٨، وانضمَّ إليه والي ديار بكر سلحدار كنعان باشا، ودفع الإمدادات والرواتب اللاَّزمة (ما بين ٢٠ و ٣٠ ألف قرش) لثلاثين ألف جنديٍّ أتى بهم إلى بورصة وضواحيها في عام ١٦٥٨. وقُبيل خروج الخطر عن السيطرة، أرسل السلطان رسالةً إلى محمَّد كوپرولو باشا الذي كان يحاصر قلعة يوناڤا (يونَوَه العثمانيَّة) وأبلغه بآخر المستجدَّات، فعاد هذا إلى أدرنه في الثاني عشر من تشرين الأوَّل ١٦٥٨، بعد أن استولى على القلعة[٤٥]. ولكنَّه لم يقابل أباظة حسن باشا شخصيًّا خوفًا من اغتياله، فكُلف مرتضى باشا بذلك، لكنَّ جيش هذا الأخير هُزم في قونية في شتاء ١٦٥٨ بطريقةٍ مباغتة أقلقت الباب العالي الذي قرَّر تجهيز حملة أقوى في ربيع ١٦٥٩ لمواجهتهِ، فانسحب هو وأتباعه نحو عينتاب نتيجة الإرهاق وانهيار المعنويات؛ فاجتمع أباظة حسن باشا ورجاله وقاضي عينتاب ونصحاه بأن يتحصَّن في حلب، وبعد أن يأمن جانب مرتضى باشا وينظِّم رجاله، يشنُّ حملةً عليه ويهزمه. وبالفعل، اتَّفق أباظة حسن باشا مع مرتضى باشا الذي وعدهم بتأمين عفو السلطان إذا ما استسلموا ودخلوا حلب[٤٦].

من جانبهِ، تلخَّصت خطَّة مرتضى باشا بعقد اجتماع بين الولاة وأباظة حسن باشا في قصره، فيأمر أتباعه باستضافة قادة التمرُّد المتبقين ليتمَّ قتلهم حال سماعهم إطلاق المدفع. وعندما توجه أباظة حسن باشا للوضوء وأداء الصلاة، دخل نحو ٣١ شخصًا بحجَّة الوضوء لاغتيالهِ حال سماع عبارة "توضَّأوا لحسن"[٤٧]. وهذا ما حدث، إذ قُتل الولاة وجميع المتمرِّدين بعد سماع صوت إطلاق المدفع في السابع عشر من شباط ١٦٥٩. وأُرسل ٣١ رأسًا إلى إستانبول، من بينهم رأس أباظة حسن باشا. وهكذا انتهى التمرُّد الجلالي[٤٨].

وبُعيد مقتل أباظة حسن باشا وقمع التمرَّد الجلالي، كلَّف محمَّدٌ كوپرولو باشا إسماعيل باشا بتفتيش جميع المناطق الممتدة من إستانبول

إلى شبه الجزيرة العربيَّة، فحلَّ محلَّه في المنصب وقتل كلَّ مَن ساعد المتمرِّدين، وقضى على قُطَّاع الطرق[٤٩].

بعد ذلك، انصرف للقضاء على منافسٍ آخر هو قائد قوَّات الحامية في جزيرة كريت الغازي دلِّي حسين باشا؛ إذ كان يروم التخلُّص منه قبل تمرُّد أباظة باشا، فاستدعاه في عام ١٦٥٩ بحجَّة اختلاسهِ أموال الحملة على كَريت ليُعدمه، لكنَّ شيخ الإسلام بالي زاده مصطفى أفندي رفض إصدار فتوى بذلك[٥٠]. وتعود رغبة محمَّد كوپرولو باشا بقتل الغازي دلِّي حسين باشا إلى أعجاب السلطان محمَّد الرابع بشخصيَّتِهِ، إذ سبق له أن خدم عمَّه السلطان مراد الرابع ووالده إبراهيم. ولمَّا كان بحاجةٍ ماسَّة إلى فتوى لقتلهِ، قرَّر عزل شيخ الإسلام بالي زاده مصطفى أفندي[٥١]، ومن ثمَّ تعيين الغازي دلِّي حسين باشا واليًا على الروم إيلي في الثالث عشر من كانون الأوَّل ١٦٥٨. ومنذ ذلك الحين بدأت المؤامرات تُحاك ضدَّه، واتُّهم بقمع الناس، فاستُدعي إلى العاصمة وحُبس، وأُعدم بعد أسبوع[٥٢]. ويظهر من ذلك أنَّ معظم قرارات محمَّد كوپرولو باشا وسلوكياته، ولاسيَّما في موضوع تصفية الخصوم وإصدار أحكام الإعدام، كانت تتم بقراراتٍ فردية وتتجاوز الأحكام الشرعية لشيخ الإسلام، وهو ما يعكس السلطة المُطلقة التي اشترطها قبل تولِّيه المنصب.

وفي عام ١٦٦٠ عيَّن محمَّد كوپرولو باشا ابنه فاضل أحمد باشا واليًا على دمشق، إذ كان شديد الحماس لمهاجمة المعنيين والشهابيين، وسار إلى وادي التيم (في جنوب شرق لبنان)، فهدم سرايا بيت شهاب في حاصبيا وراشيا، ليُنهي بذلك حكم الشهابيين هناك[٥٣].

دوره في رسم السياسة الخارجيَّة العثمانيَّة

إلى جانب دوره في تشديد قبضة الدولة في المركز والإيالات، كان دور محمَّد كوپرولو باشا واضحًا ومحوريًّا في رسم السياسة الخارجيَّة العثمانيَّة خلال عهده القصير. فمن جهة الشرق، اتَّسمت العلاقات العثمانيَّة ـ الصَّفويَّة بالهدوء والاستقرار عمومًا، ولم تتجاوز إرسال وفود التهنئة وتبادل الهدايا وتأكيد الاتفاقات القائمة والبروتوكولات الرسمية. فمثلاً، أرسل الشاه عبَّاس الثاني (١٦٤٢-١٦٦٦) مبعوثه بير علي أفشار محمَّلاً بهدايا للسلطان والصدر الأعظم. ووصل المبعوث إلى إستانبول في الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٦٥٦، وقابل السلطان وسلَّمه هدايا الشاه ورسالة تعزية لوفاة والده وتهنئته لتولِّيه المنصب، وأبلغه أنَّه رفض عرض حسين أفراسياب بتحويل ولائه إليه، وتمسُّكه بمعاهدة قصر شيرين، وسيطرته على قندهار. وفي أواخر ومطلع عام ١٦٥٧ استضاف الصدر الأعظم والسلطان المبعوث في حفل وداع، ورافقه المبعوث العثماني إسماعيل آغا لمقابلة الشاه وتقديم هدايا السلطان له[٥٤].

ساعدت حالة الهدوء والاستقرار في جهة الشرق الباب العالي محمَّد كوپرولو باشا في التفرُّغ لجبهة الغرب ومواجهة مشكلاته مع

القـوى الأوروبيـة، ولاسـيَّما مـع ترانسـلفانيا والبندقيَّة وفرنسا.

كانـت العلاقـات بـين البـاب العـالي وترانسـلفانيا متوتـرةً بسـبب سـعي أميرهـا جـورج راكـوزي الثـاني (George II Rákóczi)، (١٦٤٨-١٦٦٠) إلى اعتـلاء عرش پولندا (لهستان العثمانيَّة) في عام ١٦٥٧، منتهزًا النزاعات الداخليَّة والفوضى السياسـية فيهـا، وأراد الدفاع عن حقـوق أوكرانيا، لكنَّ البـاب العـالي أعلـن رفضـه التـام لذلـك ما لم يقـترن بموافقـة السـلطان. فاسـتبدَّ راكـوزي برأيـه وأعلن الحرب عـلى پولندا بعد أن تحالف مـع كلٍّ مـن ولاشـيا ومولدافيا والسـويد[٥٥]. حينـذاك، بدأ محمَّد كوپرولو باشـا بتجهيز حملة عسـكريَّة عليه وإقالته لانتهاكه شروط الاتفاق بين الطرفين الـذي نصَّ على تبعيَّة ترانسـلفانيا للباب العالي[٥٦]. وخلال الحملة، واجه الجيش العثـماني صعوبـةً في السـيطرة على قلعـة يوناڤا لكثافـة الغابـات المحيطة بها، فأمـر بقطع جميع أشـجارها وتطهير المنطقة. وبعد أن أدرك قائد القلعـة والأهـالي عجزهم عـن مقاومة الجيش العثماني، استسـلموا في عام ١٦٥٨، وأمر محمَّد كوپرولو باشـا بإخلائها ومنحهـا إلى والي ديار بكر الداماد سلحدار كنعان باشا. وعندما عَلِم راكـوزي باقتراب الجيش العثـماني، هرب نحو الحدود النمساويَّة[٥٧].

وبعـد إطاحـة راكوزي عُـيِّن أمـين خزانته إيكـوش باركـاي (Ekosh Barkai) عـلى عـرش البلاد، فوافق على دفـع تعويض وجزية سـنويَّة قدرهـا أربعـين ألـف دوكـة للدولـة العثمانيَّة، إلَّا أنَّ راكوزي لم يقرَّ بالهزيمة، فهاجمه ليسـتعيد عرشـه بمسـاعدة النمسـا؛ فاحتـلَّ النمسـاويون قلعـة فـارات في عـام ١٦٦٠، ما دفع الـسردار الأكـرم (القائد العام) علي باشـا إلى التوجُّـه إليهـا ومحاصرتهـا[٥٨]. وإدراكًا من حـرَّاس القلعة (البالغ عددهم ٩٥٠ شـخصًا) بعدم إمكان الدفاع عنها ضدَّ العثمانيين، أغلقوا مخارجهـا، فقـام عـلي باشـا بتجفيـف خنادقها وتدمـير جزء منها. وبعد ٤٤ يومًا من الحصار، استسـلم قائدهـا في آب ١٦٦٠. أمَّـا راكوزي فقد توفِّي متأثرًا بجراحه[٥٩].

أمَّـا العلاقـات العثمانيَّـة ـ الفرنسـيَّة فقـد شَـهدت تراجعًـا في عهـدهِ بعـد أن كانـت مثاليَّـةً طـوال القرن السـادس عـشر؛ إذ وقف البـاب العالي إلى جانـب فرنسـا في مواجهة آل هابسـبورغ، ولكنَّها ردَّت على ذلك بالتحالف مع أعدائـهِ البنادقة في حربهـا في جزيرة كَريت (١٦٤٥-١٦٦٩). ويعـود السـبب في تدهور تلـك العلاقـات إلى علـم العثمانيين بمسـاعدة فرنسـا السريَّـة للبندقية رغـم ادِّعـاء صداقتها للبـاب العـالي. ويعـود السـبب في موقفهـا العدائـي تجاه البـاب العالي من جهـة، والودي تجـاه البندقيـة من جهةٍ أخـرى، إلى كون ملكها لوي الرابع عـشر (Louis XIV)، (١٦٤٣-١٧١٥) كاثوليكيًّا متعصبًا، وكان دعم البندقيَّة الكاثوليكيَّة في حربها ضدَّ العثمانيين المُسلمين في جزيـرة كَريت مظهرًا من مظاهر ذلك الصراع، فكـان يرسـل إليهـا المسـاعدات والمتطوعـين. وانعكس هذا الأمر عـلى علاقة محمَّد كوپرولو باشا بالسـفير الفرنسي لدى إستانبول اليهودي جان دو لاهاي (١٦٣٩-١٦٦٥)[٦٠].

ومع ذلـك، كان من الصعـب إثبات خيانة

فرنسا للباب العالي؛ لأنَّ السفارة الفرنسيَّة في إستانبول كانت تستخدم رمزًا سريًّا لمنع فكِّ رموز رسائلها.

كان محمَّد كوپرولو باشا يبحث عن فرصةٍ للانتقام من السفير جان دو لاهاي الذي أحجم عن تهنئتهِ على تولِّي المنصب، وحانت تلك الفرصة حينما قدَّم جنديٌّ فرنسيٌّ يُدعى ڤيرتامون كان يخدم مع البنادقة في حرب كَريت هديَّةً قيِّمةً له هي عبارة عن رزمة من الرسائل المشفَّرة ليسلِّمها إلى بالارينو البندقيَّة والسفير دو لاهاي. وزوَّدته الحكومة الفرنسيَّة بالحروف المشفَّرة. ولكنَّ ڤيرتامون أعطى هذهِ الرسائل إلى والي إستانبول بدلاً من دو لاهاي، إذ كان يروم اعتناق الإسلام[٦١]؛ فقام هذا بإرسال ڤيرتامون إلى محمَّد كوپرولو باشا الذي كان في أدرنه. وعند استجوابهِ أكَّد التعاون بين البندقية وفرنسا في جزيرة كَريت، وذكر أنَّ السفير دو لاهاي كان يساعد البنادقة سرًّا. ولإثبات قوله، سلَّمه الرسائل التي بحوزتهِ، ولكن أبلغه أنه لا يستطيع فكَّ شفرتها، فقام هذا باستدعاء دو لاهاي إلى أدرنه للاستجواب وسأله عن فحوى الرسائل، لكنَّ السفير أخبره أنَّه لا يستطيع كسر الشفرة بنفسهِ، وأنَّ مترجم السفارة ذهب إلى فرنسا قبل ستة أشهر، فأمر كوپرولو محمد باشا باعتقالهِ، وبقي رهن الاعتقال حتَّى عاد إلى بلدهِ بعد عامين بعد أن دفع غرامةً. وعندما علم لوي الرابع عشر بذلك، أرسل مبعوثًا إلى إستانبول لتقصِّي الأمر، لكنَّه عاد دون أن يحقق مهمَّته[٦٢].

تركت هذهِ الحادثة أثرًا سلبيًّا في العلاقات العثمانيَّة ـ الفرنسيَّة لما تبقَّى من صدارة محمَّد كوپرولو باشا، إذ زرعت بذور عدم الثقة بين البلدين وأخرجت فرنسا من قائمة حلفاء الباب العالي في صراعهِ مع آل هابسبورغ.

أخيرًا، وضمن الخطط الدفاعية، كانت جبهة كَريت (أغنى ممتلكات البندقيَّة) ميدانًا آخر للصراع بين الباب العالي وحليفتَيْه في شمال أفريقيا (طرابلس وتونس) من جهة، والبندقيَّة وحلفائها (فرسان مالطة والدولة البابويَّة وفرنسا) من جهةٍ أخرى؛ وفيه تمكَّن الأسطول العثماني بقيادة القبودان باشا المحنَّك طوبال محمَّد باشا من فكِّ الحصار على مضيق الدردنيل واستعادة جزيرتي ليمنوس (Lemnos)، (في ٣١ آب ١٦٥٧) وتينيدوس (في ١٢ تشرين الثاني ١٦٥٧) على التوالي وفرض الهيمنة العثمانيَّة على بحر إيجة، وزاد هذا الانتصار من مكانة محمَّد كوپرولو باشا؛ لأنَّه أنقذ إستانبول من خطرٍ حقيقي[٦٣]. وفي عام ١٦٥٩، أمر ببناء حصنين جديدين: سيد بحر (سور البحر) وكليد بحر (مفتاح البحر) على الشاطئ الأوروبي لمدخل الدردنيل، فمنع البنادقة من دخول المضائق مرةً أخرى[٦٤].

بعد سنواتٍ طويلة في خدمة الدولة، توفِّي محمَّد كوپرولو باشا في الثلاثين من تشرين الأوَّل ١٦٦١ في أدرنه، ونُقل جثمانه إلى إستانبول ودُفن بالقُرب من مسجدهِ، وكان عمره حينذاك ٧٥ عامًا[٦٥]. وقبل وفاته كان قد أوصى السلطان بتسمية ولده فاضل أحمد ليخلفه في المنصب، فوافق السلطان على ذلك[٦٦].

الاستنتاجات

كشف البحث أنَّ نظام الحكم العثماني كان مرنًا فيما يتعلَّق بمركزيَّة القوَّة وصنع القرار. بمعنى آخر، لم يكن بالضرورة أن يكون رأس الدولة، الذي هو السلطان، صاحب القرار الأوَّل ومحور الإدارة فيها. واتَّضح من خلال البحث أنَّ مراحل الضعف التي مرَّت بها الدولة وانتقال مركز القرار من السلطان إلى قادة الانكشاريَّة حينًا والسلطانة الوالدة حينًا آخر، قد أفرز الحاجة إلى ظهور قوىً أخرى أقدر على إدارة البلاد من السلطان نفسه الذي بدأت بوادر التراجع في أدائهِ الإداري تظهر منذ وفاة السلطان سليمان القانوني؛ فجميع السلاطين الذين أعقبوه (باستثناء مراد الرابع) لم يكونوا بمستوى التحديات الداخليَّة أو الخارجيَّة التي كانت تواجهها الدولة، ولا بمستوى المسؤوليَّة التي ترتبت عليهم جرَّاء توسُّعها الهائل. ومنذ منتصف ستينيات القرن السادس عشر، بدأ مركز القوَّة وصناعة القرار العثماني ينتقل من السلطان إلى الصدر الأعظم صوقوللو محمَّد باشا (١٥٦٥-١٥٧٩)، وكان هذا أحد أسباب بقاء الدولة العثمانيَّة وأحد وربَّما أهم عناصر قوَّتها بعد وفاة السلطان سليمان القانوني. وبفضل ذلك الصدر الأعظم لا بفضل السلطان، تمكنَّت الدولة من تحقيق انتصاراتها اللاحقة في اليمن (١٥٦٨-١٥٧٠)، وقبرص (١٥٧٠-١٥٧١)، وتونس (١٥٧٤). ولولا حنكته ومقدرته الإداريَّة، ما كان بالإمكان أن تنتهي معركة ليبانتو (١٥٧١) بالنتيجة التي انتهت إليها، فالتحالف المسيحي لم يستطع حتَّى انتزاع جزيرة قبرص التي كانت السبب في المعركة، في حين عادت البندقيَّة للتحالف مع العثمانيين وأدارت ظهرها للحلفاء عام ١٥٧٣. وكان هذا كلُّه بفضل قيادة الصدر الأعظم الذي سدَّ الفراغ الذي تركه السلطان. ولولا هذهِ المرونة في نظام الحكم العثماني ما كان بالإمكان الحديث عن انتصارات عثمانيَّة منذ ذلك الحين، وينسحب هذا الوصف على الصدر الأعظم محمَّد كوپرولو باشا موضوع البحث.

غير أنَّ المظهر السلبي لهذا الأمر هو أنَّ الدولة العثمانيَّة كانت "أسيرة المصادفة التاريخيَّة"، بمعنى: ماذا لو لم يظهر محمَّد كوپرولو باشا في تلك اللحظة بالذات؟ وكيف كان سيؤول مصير الدولة حينذاك؟ لا يمكن التكُّهن بذلك، ولكن يمكن أن نشبِّه الوضع بظهور الأخوين أوروج (١٥٧٤-١٥١٨) وخير الدين بربروسا (١٤٧٨-١٥٤٦)، ومن بعدهما طورغود ريِّس (١٤٨٥-١٥٦٥) في شمال أفريقيا وتحالفهم مع الدولة العثمانيَّة والعمل تحت لوائها، وبالتالي ضمِّ جميع الأراضي التي خضعت لهم إلى ممتلكات السلطان (الجزائر وتونس وطرابلس الغرب)؛ إذ كانت ثمَّة تساؤلاتٌ كثيرةٌ بشأن مصير شمال أفريقيا فيما لو لم يظهر هؤلاء القباطنة وفيما إذا كان بمقدور السلاطين أن يحققوا ـ بجهودهم الشخصيّة ـ ما حققه هؤلاء. ولكن لأنَّ نظام الحكم العثماني كانت فيه مساحةٌ كافيةٌ من المرونة تستوعب الآخرين، انتهز السلاطين

العثمانيون تلك "المصادفة التاريخيَّة"، فنجحوا في احتضان كفاءة محمَّد كوپرولو باشا مثلما نجحوا من قبل في احتضان القباطنة في القرن السادس عشر، وكانت هذهِ نقطةٌ تُحسب للعثمانيين.

المسألة المهمَّة الأخرى هي أنَّ محمَّد كوپرولو باشا قد توصَّل إلى القناعة نفسها التي توصَّل إليها السلطان مراد الرابع من قبل، ألا وهي أنَّ القوَّة لا غير هي السبيل الوحيد لإنقاذ دولة تنهشها الصراعات وتمزقها الأزمات الداخليَّة والإقليميَّة. ولعلَّه انتهج في ذلك مبدأ ميكيافيللي "الغاية تبرِّر الوسيلة". والمعروف أنَّ السلطان مراد الرابع انتهج القوَّة والقسوة والجِدَّة والبطش مع جميع خصومهِ دون رحمة، وتمكَّن بذلك من إدارة الدولة بقبضة حديديَّة، ونجح في ذلك أيَّما نجاح. وليس مستبعدًا أن يكون محمَّد كوپرولو باشا قد سار على نهجهِ، وإنْ كانت المصادر لم تُفصح عمَّا إذا كان قد تأثَّر بهِ أو لا. المهم إنَّ كليهما قد أدرك أنَّ النجاح في إدارة الدولة لا بدَّ أن يكون مقرونًا بالقوَّة. وكثيرًا ما كانت هذهِ القوَّة مقرونةً بالظلم. ولاحظنا من خلال ما تقدَّم أنَّ هذا النهج كان سلاحًا فاعلاً في مواجهة خصوم الدولة في الداخل والخارج، واستطاع في النهاية أن يُعيد هيبتها ومكانتها.

وترتبط بهذا الموضوع مسألةٌ مهمَّة أخرى، وهي "مركزيَّة القرار" والنزعة إلى الاستبداد والدكتاتورية، إذ لاحظنا أنَّ محمَّد كوپرولو باشا أصرَّ عند تكليفه بالمنصب على أن يكون صاحب القرار الأوحد في جميع قراراتهِ، وأن لا يناقشه أو يعترض عليه أحدٌ، ولا حتَّى السلطان. ومعنى ذلك أنَّه كان مدركًا منذ البدء ـ لكي ينجح في مهمَّته ـ أنَّه لا بدَّ أن يكون "سيِّد قراراته". ولاحظنا أنَّ تعدد مراكز القوَّة وتوزعها بين السلطانة الوالدة وآغوات الانكشاريَّة قبل توليَّه المنصب كاد أن يودي بالدولة إلى نتائج كارثيَّة، وأدَّى بالفعل إلى حركات تمرُّد وعصيان في أرجاء متعددة منها، فضلاً عن ضياع قرارها السياسي وتراجع أدائها العام في شتَّى المجالات. وكان العلاج الوحيد لمواجهة التحديات الداخليَّة والخارجيَّة أن تكون فيها مركزيَّة سلطة، وأن يكون القرار فيها قويًّا متماسكًا، وهذا ما أصرَّ عليه محمَّد كوپرولو باشا.

وأخيرًا، كان من أهم النتائج التي أسفرت عنها إدارة محمَّد كوپرولو باشا أنَّه نجح، وخلال خمس سنوات فقط (١٦٥٦-١٦٦١) في تقديم أنموذج حكم مقنع يحظى بثقة السلطان، لدرجة أهَّلته للتوصية ـ دون أن تواجه تلك التوصية أي اعتراض ـ بتوريث المنصب لابنه فاضل أحمد باشا الذي حكم بصفة صدر أعظم ستة عشر عامًا لاحقة (١٦٦١-١٦٧٦)، وتمكَّن هذا، كوالده، من تحقيق مكاسب كبيرة للدولة، داخليًّا وخارجيًّا. ولولا الانطباع الجيد والمثال الحسن الذي تركه محمَّد كوپرولو باشا، ما كان بالإمكان توريث المنصب لابنه، وصهر ابنه فيما بعد، قره مصطفى باشا (١٦٧٦-١٦٨٣).

قائمة المراجع

أولاً: العربية والمعرَّبة

- إبراهيم أفندي. مصباح السَّاري ونزهه القاري، (بيروت: ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٩م).
- أوزتونا، يلماز. موسوعة تاريخ الإمبراطوريَّة العثمانيَّة، ترجمة: عدنان محمود سلمان، (بيروت: الدار العربيَّة للموسوعات، ٢٠١٠م)، (جزآن).
- بيهم، محمَّد جميل. فلسفة التاريخ العثماني، (بيروت: مكتبة صادر، ١٩٢٥م).
- الحلبي، محمَّد راغب الطبَّاخ. أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تحقيق: محمَّد كمال، (حلب: دار القلم العربي، ١٩٨٨م)، (٨ أجزاء).
- شقيرات، أحمد صدقي. تاريخ مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانيَّة (١٤٢٥-١٩٢٢)، (عمَّان: دار الكندي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م)، (جزآن).
- العابد، صالح محمَّد. "حملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد عام ١٦٣٨"، المورد، مج٨، ع٤، (بغداد: دار الحريَّة للطباعة والنشر، ١٩٧٩م).
- عبدالله، محمود أحمد محمود. "محمَّد كوبرولي باشا وتوليه منصب الصدارة العظمى"، مجلَّة الدراسات التاريخيَّة والاجتماعيَّة، العدد ٢٦، نواكشوط: جامعة نواكشوط، ٢٠١٨م.
- العزَّاوي، قيس جواد. الدولة العثمانيَّة (قراءة جديدة لعوامل الانحطاط)، ط٢، (بيروت: الدار العربيَّة للعلوم، ٢٠٠٣م).
- علاَّوي، نسيبة عبد العزيز. "دور آل كوپرولو في إصلاح أوضاع الدولة العثمانيَّة (١٦٥٦-١٧٠٢)"، مجلَّة أبحاث كليَّة التربية الأساسيَّة، مج٦، ع٢، (الموصل، ٢٣-٢٤ أيار، ٢٠٠٧م)، ص٢٤٤-٢٦٩.
- علي، محمَّد كرد. خطط الشام، ط٢، (دمشق: مكتبة النوري، ١٩٨٣م)، (٦ أجزاء).
- غازي، أماني جعفر. "السلطان إبراهيم بين الحقيقة والافتراء (١٠٢٥هـ-١٠٥٨هـ/ ١٦١٦م-١٦٤٨م)"، مجلة بحوث كليَّة الآداب، مج٣٠، ع١١٦، (جامعة، المنوفيَّة، يناير/ كانون الثاني، ٢٠١٩م) ص ٥٠٩-٥١٠.
- قرألي، بولس. فخر الدين المعني الثاني أمير لبنان: إدارته وسياسته (١٥٩٠-١٦٣٥)، (حريصا: مطبعة القديس بولس، ١٩٣٧م).
- القهواتي، محمَّد حسين. "العراق بين الاحتلالين الأوَّل والثاني، ١٥٣٤-١٦٣٨: دراسة في الأحوال السياسيَّة والاقتصاديَّة"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، (كليَّة الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥م).

- كريسي، إدوارد شيفرد. تاريخ الأتراك العثمانيين، ترجمة: أحمد سالم سالم، (الدوحة: دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، ٢٠١٩م).
- كيدو، أكرم. مؤسَّسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانيَّة، ترجمة: هاشم الأيوبي، (طرابلس: جروس برس، ١٩٩٢م).
- كينروس، جون باتريك. القرون العثمانيَّة: قيام وسقوط الإمبراطوريَّة التركيَّة، ترجمة: ناهد إبراهيم دسوقي، (الإسكندريَّة: منشأه التعارف، ٢٠٠٢م).
- مانتران، روبير. تاريخ الدولة العثمانيَّة، ترجمة: بشير السباعي، (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م)، (جزآن).

ثانيًا: التركيَّة القديمة (العثمانيَّة)

- خير الله أفندي. تاريخ دولت عليَّة عثمانيَّة من سنة ١٠٤٩ إلى سنة ١٠٥٨هـ(١٦٣٩-١٦٤٨م)، (إستانبول: مطبعة عامرة، ١٢٩٢ (١٨٧٥م)، (١٧ جزءًا؟).
- راشد، محمَّد. تاريخ راشد أفندي، (إستانبول: مطبعة إبراهيم، ١١٥٣هـ/ ١٧٤١م)، (٦ أجزاء).
- رفيق، أحمد. كوبربليلير، (إستانبول: كتابخانهء عسكري، ١٣٣١/ ١٩١٣م).
- نُعيما، مصطفى. تاريخ نُعيما، (إستانبول: مطبعه عامره، ١٨٦٤م)، (٦ أجزاء).
- هامه ر. دولت عليَّة عثمانيَّة، ترجمة: محمَّد عطا، (١٦٠٠-١٦٢٣)،(إستانبول: مطبعة عامرة ١٣٢٣ (١٩١٧م)، (١٢ جزءًا).

ثالثًا: الأجنبيَّة

Abou-El-Haj, Rifat Ali. "The Ottoman Vezir and Paşa Households 1683-1703: A Preliminary Report", Journal of the American Oriental Society, vol. 94, no. 4, (Oct-Dec., 1974), pp.438-447.

Afyoncu, Erhan. "Friends or Foe? How French Kingdom Undermined the Ottomans", Daily Sabah, (Istanbul: Apr. 6, 2018). https://shorturl.at/KQRXZ (accessed on 14 January, 2023).

Ágoston, Gábor & Masters, Bruce (eds.). Encyclopedia of the Ottoman Empire, (New York: Facts On File, 2009).

Ahmet Önal et al. Osmanli Tarihi 1566-1789, (Eskişehir: Anadolu University, 2013).

Aktepe, M. Mürir. "Çınar Vakası", IA, 1993, cilt 8, ss. 301-302.

Bekar, Cumhur. "The Ottoman Revolution of 1661: The Reconfiguration of Political Power under Mehmed IV and Köprülü Grand Viziers",

Gül, Ismail. "Osmanlı Devleti'nde sultan IV. Murad Dönemi Yeniçeri Isyanları (1623-1640)", Yüksek Lısans Tezi, (Aralık: Sakarya Üniversitesi, 2006).

Güngörürler, Selim. "Diplomacy and Political Relations Between the Ottoman Empire and Safavid Iran, 1639-1722", A PhD Dissertation, (Washington DC: Graduate School of Arts and Sciences, Georgetown University, August 29, 2016),

Hammer-Purgstall, Joseph von. Osmanli Devleti Tarihi, cilt XI (1656-1676), (Istanbul: Millî Eğitim Basımevi, 1947).

Ilgürel, Mücteba. "Abaza Hasan", IA, (1988), cilt 1, ss. 10-11.

"Köprülü Mehmed Paşa", IA, (2002), cilt 26, s. 258-260.

Ipşirli, Mehmet & Kaya, Eyyüp Said. "Mustafa Efendi, Bâlîzâde", IA, (2020), cilt 31, ss. 294-295.

Karaça, Kemal. "Kemankeş Kara Mustafa paşa'nın Baniliği", Yüksek Lisans Tezi, (Aralık: Erciyes Üniversitesi, 2016).

Kodaman, Bayram. "Osmanlı Devletı'nın Yükeliş ve Çöküş Sebeplerine Genel Bakış", Süleyman Demirel Üniversitesi Fen-Edebiyat Fakültesi Sosyal Bilimler Dergisi, sa. 16, (2007), ss.1-24.

Olnon, Merlijn. "Köprülü Imperial Pol-

Journal of Early modern History, vol. 27, no. 3, (2022), pp.224-253.

. "The Rise of the Köprülü Family: The Reconfiguration of Vizierial Power in the Seventeenth Century", (Leiden University:Institute for History, Faculty of Humanities, 2019).

Çalışır, Muhammed Faith. "A Virtuous Grand Vizier: Politics and Patronage in the Ottoman Empire during the Grand Vizierate of Fazıl Ahmed Pasha (1661-1676) ", PhD Dissertation, (Washington: Georgtown University, August 30, 2016),

. "War and Peace in the Frontier: Ottoman Rule in The Uyvar Province (1663-1685)", MA Thesis, (Ankara: Bilkent University, July, 2009).

Duffy, Christopher. Siege Warfare, (London: Routledge, 1979).

Duman, Mahmut. "Köprülü Mehmed Paşa Hayatı, Şahsiyeti ve Faaliyetleri", Yüksek Lisans Tezi, (Konya: Selçuk Ünıversitesi, 2006).

Emecen, Feridun. "Fahreddin Manoğlu", IA, 1995, cilt 12, ss. 80-82.

"Ibrâhım", IA, 2000, cilt 21, ss. 274-281.

Frey, Linda S. & Frey, Marsha L. The Ottoman Empire Green Wood Guides to Historic Events 1500-1900, (London: Green Wood, 2008).

icy and the Refashioning of Izmir", Ottoman Izmir: Studies in Honour of Alexander H. De Groot, (2007), pp.31-43. (shorturl.at/adwZ6, accessed on: 28 September, 2022).

Sağır,Yusuf. "Osmanlı Arşır Belgelerine ve Vakfiyelerine Göre Köprülü Ailesi Vakıfarı", Doktora Tezi, (Izmir: Dokuz Eylül Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü. 2012).

Semavi Eyice. "Kasim Ağa", IA, (1991), cilt 24, ss. 539-540.

Shaw & Shaw, Stanford J. & Ezel Kural. History of the Ottoman Empire and Modern Turkey 1280-1808, (New York: Cambridge University, 1976), (2 vols.).

Yilmaz, Yasir. "The Road to Vienna: Habsburg and Ottoman State Craft durıng the Time of Geand Vizier Kara Mustafa Paşa (1676-1683) ", PhD Dissertatıon, (Purdue University, Jan. 2015).

Yilmazer, Ziya. "Murad IV", IA, (2020), cilt 31, ss. 177-183.

Yücel, Ebubekir Sıddık. "IV. Mehmed Dönemi İsyanlarına Genel Bir Bakış", International Social Sciences Studies Journal, cilt 5, sa. 29, (January, 2019), ss. 247-271.

الهوامش

١- للمزيد من التفاصيل عن حصار بغداد، يُنظر: هامه ر، دولت عليَّة عثمانيَّة، ترجمة: محمَّد عطا، مج٨ (١٦٠٠-١٦٢٣)، (إستانبول: مطبعة عامرة ١٣٢٣]١٩١٧[)، ص١٣-٢٢؛ محمَّد حسين القهواتي، "العراق بين الاحتلالين الأوَّل والثاني، ١٥٣٤-١٦٣٨: دراسة في الأحوال السياسيَّة والاقتصاديَّة"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، (كليَّة الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥م)، ص٢١٣-٢٣٥.

2- Bayram Kodaman, "Osmanlı Devletı'nın Yükeliş ve Çöküş Sebeplerine Genel Bakış", Süleyman Demirel Üniversitesi Fen-Edebiyat Fakültesi Sosyal Bilimler Dergisi, sa. 16, 2007, ss. 14-15.

3- Stanford Shaw & Ezel Kural Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey 1280-1808, (New York: Cambridge University, 1976), vol. 1, pp.194-195.

٤- بولس قرألي، فخر الدين المعني الثاني أمير لبنان: إدارته وسياسته (١٥٩٠-١٦٣٥)، (حريصا: مطبعة القديس بولس، ١٩٣٧)؛

Feridun Emecen, "Fahreddin Manoğlu", IA, 1995, cilt 12, ss. 80-82.

٥- كانت حجَّته في ذلك أنَّ تدخين التبغ مخالفٌ لتعاليم الشريعة الإسلاميَّة، في حين كان السبب الحقيقي القضاء على بؤرة التآمر ضدَّ الدولة وإبعاد الانكشاريَّة عنها.

٦- قيس جواد العزَّاوي، الدولة العثمانيَّة (قراءة جديدة لعوامل الانحطاط)، ط٢، (بيروت: الدار العربيَّة للعلوم، ٢٠٠٣)، ص٤٠، ١٥٣.

٧- للتفاصيل عن ذلك، يُنظر: أحمد صدقي شقيرات، تاريخ مؤسَّسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانيَّة (١٤٢٥-١٩٢٢)، (عمَّان: دار الكندي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢)، ص٤٧٧-٤٨٢؛ أكرم كيدو، ترجمة: هاشم الأيوبي، مؤسَّسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانيَّة، (طرابلس:

جروس برس، ١٩٩٢)، ص٥٥-٥٦؛

Ismail Gül, "Osmanlı Devleti'nde sultan IV. Murad Dönemi Yeniçeri Isyanları (1623-1640)", Yüksek Lısans Tezi, (Aralık: Sakarya Üniversitesi, 2006), ss. 25-26, 47.

8- Shaw, Op. Cit., p. 198; Ziya Yilmazer, "Murad IV", IA, (2020), cilt 31, ss. 180-181.

9- Kemal Karaça, "Kemankeş Kara Mustafa paşa'nın Baniliği", Yüksek Lisans Tezi, (Aralık: Erciyes Üniversitesi, 2016), p.13;

صالح محمَّد العابد، "حملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد عام ١٦٣٨"، المورد، مج٨، ع٤، (بغداد: دار الحريَّة للطباعة والنشر، ١٩٧٩)، ص٩٣.

10- Yilmazer, Op. Cit., s. 182.

١١- إدوارد شيفرد كريسي، تاريخ الأتراك العثمانيين، ترجمة: أحمد سالم سالم، (الدوحة: دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، ٢٠١٩)، ص٣٥٣-٣٥٤.

١٢- خير الله أفندي، تاريخ دولت عليَّة عثمانيَّة من سنة ١٠٤٩ إلى سنة ١٠٥٨هـ]١٦٣٩-١٦٤٨[، (إستانبول: مطبعة عامرة، ١٢٩٢]١٨٧٥[)، ج٨، ص٩؛

Karaça, Op. Cit., p.18

١٣- أماني جعفر غازي، "السلطان إبراهيم بين الحقيقة والافتراء (١٠٢٥-١٠٥٨هـ/ ١٦١٦-١٦٤٨م)"، مجلة بحوث كليَّة الآداب، مج٣٠، ع١١٦، (جامعة المنوفيَّة، يناير/ كانون الثاني، ٢٠١٩)، ص٥٠٩-٥١٠.

14- Feridun Emecen, "Ibrâhım", IA, 2000, cilt 21, s. 277.

15- Gábor Ágoston and Bruce Masters (eds.), Encyclopedia of the Ottoman Empire, (New York: Facts On File, 2009), p.370; Ahmet Önal et al, Osmanli Tarihi 1566-1789, (Eskişehir: Anadolu University, 2013), s. 68.

16- Linda S. Frey and Marsha L. Frey, The Ottoman Empire Green Wood Guides to Historic Events 1500-1900, (London: Green Wood, 2008), pp.75-76.

17- Frey and Frey, Op. Cit., p.76; M. Mürir Aktepe, "Çınar Vakası", IA, 1993, cilt 8, ss. 301-302;

شقيرات، المرجع السابق، ج١، ص٥١٨-٥١٩، هامش ١٠ و١١. وتسمَّى كذلك عصيان الـ "واق واق".

18- Mücteba Ilgürel, "Köprülü Mehmed Paşa", IA, (2002), cilt 26, s. 258.

19- Yasir Yilmaz, "The Road to Vienna: Habsburg and Ottoman State Craft durıng the Time of Geand Vizier Kara Mustafa Paşa (1676-1683) " , PhD Dissertatıon, (Purdue University, Jan. 2015), p.98.

20- Shaw, Op. Cit.,p. 208.

21- Mahmut Duman, "Köprülü Mehmed Paşa Hayatı, Şahsiyeti ve Faaliyetleri", Yüksek Lisans Tezi, (Konya: Selçuk Ünıversitesi, 2006), s. 15.

٢٢- محمود أحمد محمود عبد الله، "محمَّد كوبرولي باشا وتوليه منصب الصدارة العظمى"، مجلَّة الدراسات التاريخيَّة والاجتماعيَّة، العدد ٢٦، نواكشوط: جامعة نواكشوط، ٢٠١٨، ص١٠.

23- Semavi Eyice, "Kasim Ağa", IA, 1991, cilt 11, ss. 17-18; Cumhur Bekar, "The Rise of the Köprülü Family: The Reconfiguration of Vizierial Power in the Seventeenth Century", (Institute for History, Faculty of Humanities, Leiden University, 2019), p.67.

24- Duman, Op. Cit., ss. 17, 22.

25- Shaw, Op. Cit., p.209;

جـون باتريـك كينـروس، القـرون العثمانيَّـة: قيام وسـقوط الإمبراطوريَّـة التركيَّـة، ترجمـة: ناهد إبراهيم دسـوقي، (الإسكندريَّة: منشأه التعارف، ٢٠٠٢)، ص٣٦٤.

26- Bekar, Op. Cit., p. 76; Rifat Ali Abou-El-Haj, "The Ottoman Vezir and Paşa Households 1683-1703: A Preliminary Report", Journal of the American Oriental Society, vol. 94, no. 4, (Oct-Dec., 1974), p.443.

27- Joseph von Hammer-Purgstall, Osmanli Devleti Tarihi, cilt XI (1656-1676), (Istanbul: Millî Eğitim Basımevi, 1947), s. 6.

28- Duman, Op. Cit., p.32.

29- Ilgürel, " Köprülü Mehmed Paşa", s. 260.

30- Bekar, Op. Cit., p. 80; "The Ottoman Revolution of 1661: The Reconfiguration of Political Power under Mehmed IV and Köprülü Grand Viziers", Journal of Early modern History, vol. 27, no. 3, (2022), pp.1-30.

31- Ibid., p.81.

٣٢- محمَّد راشـد، تاريخ راشـد أفندي، (إسـتانبول: مطبعة إبراهيم، ١١٥٣هـ/ ١٧٤١م)، ج١، ص١٤.

33- Önal, Osmanli Tarihi, s. 83.

34- Ibid.

٣٥- كينـروس، المرجع السـابق، ص٣٦٥؛ كريسي، المرجع السابق، ص٣٧٠؛

Mehmet Ipşirli ve Eyyüp Said Kaya, "Mustafa Efendi, Bâlîzâde", IA, 2020, cilt 31, ss. 294-295.

36- Merlijn Olnon, "Köprülü Imperial Policy and the Refashioning of Izmir", Ottoman Izmir: Studies in Honour of Alexander H. De Groot, 2007, p. 34. (shorturl.at/adwZ6, accessed on: 28 September, 2022).

٣٧- محمَّـد جميـل بيهم، فلسـفة التاريخ العثـماني، (بيروت: مكتبة صادر، ١٩٢٥)، ص٢٨٧.

٣٨- نسيبة عبد العزيز علاوي، "دور آل كوپرولو في إصلاح أوضـاع الدولـة العثمانيَّـة (١٦٥٦-١٧٠٢)"، مجلَّـة أبحـاث كليَّة التربية الأساسـيَّة، مـج٦، ع٢، (الموصل، ٢٣-٢٤ أيـار، ٢٠٠٧)، ص٢٥٠؛ روبـير مانـتران، تاريخ الدولة العثمانيَّة، ترجمة: بشير السباعي، (القاهرة: دار الفكر للدراسـات والنشر والتوزيع، ١٩٩٣)، ج١، ص٣٦٧؛ شقيرات، المرجع السابق، ج١، ص٥٢٩؛

Shaw, Op. Cit., p.209.

٣٩- عبـد الله، المرجـع السـابق، ص١٤. ولم تحـدد المراجـع تاريخ هذا الحريق.

٤٠- إبراهيـم أفنـدي، مصبـاح السَّـاري ونزهـه القـاري، (بيروت: ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٩م)، ص١٨٨.

٤١- للتفاصيـل يُنظـر: مصطفـى نُعيـما، تاريـخ نُعيـما، (إسـتانبول: مطبعة عامره، ١٨٦٤) ج٥، ص٨٣-٨٩؛ ج٦، ص١٠٣-١٠٦، ٣٤١-٣٥٢؛ محمَّـد راغـب الطبَّـاخ الحلبـي، أعلام النبـلاء بتاريخ حلب الشـهباء، تحقيـق: محمَّد كمال، (حلـب: دار القلم العربي، ١٩٨٨) مج٣، ص٢١٤-٢١٥؛

Mücteba Ilgürel, "Abaza Hasan", IA, 1988, cilt 1, ss. 10-11.

٤٢- لم تحدد المصادر اسمه.

٤٣- أحمـد رفيـق، كوبربليلـير، (إسـتانبول: كتابخانـهء عسكري، ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م)، ص ٩٣؛

Bekar, Op. Cit., p.95.

44- Ibid. p.98.

45- Ebubekir Sıddık Yücel, "IV. Mehmed Dönemi İsyanlarına Genel Bir Bakış", International Social Sciences Studies Journal, cilt 5, sa. 29, (January 2019), s. 260.

٤٦- رفيق، المرجع السابق، ص٩٤.

47- Duman, Op. Cit., p.48.

48- Yusuf Sağır, "Osmanlı Arşır Belgelerine ve Vakfiyelerine Göre Köprülü Ailesi Vakıfarı", Doktora Tezi, (Izmir: Dokuz Eylül Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü. 2012), s. 29.

49- Yücel, Op. Cit., s. 261.

50- Hammer, cilt XI, Op. Cit., s. 37;

شقيرات، ج١، ص٥٣٥-٥٣٧.

٥١- يعود سبب هذا العزل إلى الخلاف الحاد الذي نشأ بين الصدر الأعظم وشيخ الإسلام حول قضية إعدام السردار حسين باشا دلي قائد الجيش العثماني في كريت؛ إذ طلب الصدر الأعظم فتوى من شيخ الإسلام بإعدام حسين باشا، إلَّا أنَّ هذا رفض إصدار الفتوى، معتمدًا على أنَّ ذنب حسين باشا ليس خطيرًا حتَّى يستحق القتل. وكان هدف مصطفى أفندي من ذلك أن يقوم الصدر الأعظم بتغيير الحكم من الإعدام إلى النفي. ولكن حصل العكس تمامًا؛ فقد أُعدم حسين باشا دلي وعُزل شيخ الإسلام على خلفية ذلك. شقيرات، ج١، ص٥٤١.

52- Bekar, Op. Cit., p.102.

٥٣- محمَّد كرد علي، خطط الشام، ط٢، (دمشق: مكتبة النوري، ١٩٨٣)، ج٢، ص٢٧٥.

54- Duman, Op. Cit., p.58; Selim Güngörürler, "Diplomacy and Political Relations Between the Ottoman Empire and Safavid Iran, 1639-1722", A PhD Dissertation, (Washington DC: Graduate School of Arts and Sciences, Georgetown University, August 29, 2016), pp.186-189.

55- Önal, Osmanli Tarihi, s. 86.

56- Muhammed Faith Calisir, "A Virtuous Grand Vizier: Politics and Patronage in the Ottoman Empire during the Grand Vizierate of Fazıl Ahmed Pasha (1661-1676) ", PhD Dissertation, (Washington: Georgetown University, August 30, 2016), p.31; Yilmaz, Op. Cit., p.104.

57- Duman, Op. Cit., p.80.

58- Muhammed Faith Çalışır, "War and Peace in the Frontier: Ottoman Rule in The Uyvar Province (1663-1685)", MA Thesis, (Ankara: Bilkent University, July, 2009), p.22.

59- Hammer, Op. Cit., p.65.

60- Hammer, Op. Cit., vol. XI, ss. 159-160.

61- Erhan Afyoncu, "Friends or Foe? How French Kingdom Undermined the Ottomans", Daily Sabah, (Istanbul: Apr. 6, 2018). https://shorturl.at/KQRXZ (accessed on 14 January, 2023).

62- Hammer, Op. Cit., ss. 38-39.

63-Önal, Osmanli Tarihi, s. 85; Shaw, Op. Cit., p.209.

64- Christopher Duffy, Siege Warfare, (London: Routledge, 1979), pp.196-197.

٦٥- يلماز أوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطوريَّة العثمانيَّة، ترجمة: عدنان محمود سلمان، (بيروت: الدار العربيَّة للموسوعات، ٢٠١٠)، مج٢، ص٥٠٥.

٦٦- هناك سوابق أخرى في التاريخ العثماني لتوريث منصب الصدر الأعظم، كما حدث في حالة أسرة جندرلي التي تولى خمسة من أفرادها منصب الصدارة، منهم جندرلي خليل باشا (١٣٦٤-١٣٨٧) الذي أورث المنصب لابنه جندرلي علي باشا (١٣٨٧-١٤٠٦).

Köprülü Mehmed Pasha and the Politics of Restoring Power in the Ottoman Empire (1656-1661)

Asst. Prof. Anis A. Mahmoud (PhD)

Ayat Jameel Mhawi

Al-Mustansiriyah University / College of Arts

Abstract

In the history of the Ottoman Empire, figures have emerged that have had a great influence on determining its paths and supporting its sultans at a stage in which it began to take slow steps of decline since the beginning of the 17th century. As the House of Chandarli emerged in the fourteenth and fifteenth centuries, the House of Köprülü emerged in the mid-17th century at a time when the Empire was moving towards dispersion and weakness, arising from the domination of the Janissaries and the interference of the harem in its capabilities, as well as the inadequacy of sultans, except for Murad IV (1623-1640).

The Grand Vizier Köprülü Mehmmed Pasha was the first to take the vizierial post at a critical time in the history of the Empire and managed, thanks to his policy, wisdom, and cruelty above all, to prolong it. The paper attempts to highlight his policy of restoring the power of the Ottoman Empire, both internally and externally.

Keywords: The Ottoman Empire, the Seventeenth Century, Mehmed Köprülü Pasha, Sultan Mehmed IV, House of Köprülü.